

مقابلة في جملة الصلة: هل تقع شرطاً ؟

للدكتور نهاد الموسى

تلقيت العدد المزدوج ٢٣-٢٤^(١) من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني بإقبالٍ قد أعْتِيد، إقبالَ المستفيد. وقد أطرفني ذلك العدد من غير وجه.

ثم وقفت فيه على نظرات الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي في كتاب الأمل والمأمول المنسوب للجاحظ بتحقيق الدكتور رمضان شيشن، فهيّا لي بلمحاته وملحوظاته متاعاً لطيفاً.

وقد استوقفني في تعاليق الأستاذ السامرائي بضعة مواضع إلا أن واحداً منها ظلّ يلحّ عليّ حتى رأيت أن أقابِسَ الأستاذ فيه استزادة وتحقيقاً.

فقد أورد الأستاذ^(٢) قول المؤلف في الصفحة التاسعة^(٣): «... والمجد في التماس ما هو به أعذر من التجافي عما إن فاته قَعَد به عن مرتبة أهل الفضل ودرجة ذوي المروءة» فأنكر الأستاذ على المؤلف أن جاء بالصلة، صلة «ما»، جملة شرطية، ورأى الأستاذ أن «الوجه أن يقال: والمجد في التماس ما هو به أعذر من التجافي عما قَعَد به عن مرتبة أهل الفضل ودرجة

(١) السنة السابعة، ربيع الأول - رمضان ١٤٠٤ هـ، كانون الثاني - حزيران ١٩٨٤ م.

(٢) ص ١٣٩ من العدد المزدوج ٢٣-٢٤ المذكور في صدر هذه المقابلة.

(٣) من كتاب الأمل والمأمول.

ذوي المروءة إن فاتته»، وقرّر الأستاذ عقب ذلك «أنّ تقديم الفعل «قعد»، وهو جواب الشرط في كلام المؤلف، متطلّب؛ لأنّ التقديم يجعل هذا الفعل صدرا لجملة الصلة للموصول «ما». وشرط جملة الصلة أن تكون خبرا لا إنشاء. وهذا يعني أننا لو أبقينا على نصّ المؤلف لكانت جملة الصلة إنشاء وهي جملة شرطية (إن فاتته قعد)، وهذا ممتنع، وقد ورد هذا كلّ في المظانّ النحويّة».

والتغيير الذي يرى الأستاذ إجراؤه في كلام المؤلف من نصّ الكتاب يمثل جراءة تتجاوز المتعارف من أصول التحقيق؛ إلّا أن يكون حاشية يعلّقها المحقق خارج المتنّ.

ثم إنّ تصويب الأستاذ السامرائي لعبارة المؤلف فيه نظّر؛ إذ مؤداه أن جملة الصلة لا تقع شرطا وأنّ مجيء الصلة جملة شرطية ممتنع.

وذلك أنّه يردّ على الأستاذ السامرائي من شواهد التنزيل: (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك)^(١)، (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا)^(٢)، (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمّا وعميانا)^(٣)، (إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)^(٤)، (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع)^(٥)، (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك، ومنهم من إن

(١) سورة الفرقان، الآية ١٠

(٢) سورة الفرقان، الآية ٦٧

(٣) سورة الفرقان، الآية ٧٣

(٤) سورة الأنفال، الآية ٢

(٥) سورة التوبة، الآية ٩٢

تأمنه بدينار لا يؤدّه إليك، إلّا ما دمت عليه قائما^(١)، (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)^(٢)، (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم)^(٣)، (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون)^(٤)، (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله)^(٥)، (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)^(٦)، (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)^(٧)؛ إذ وقعت جملة الصلة فيما تقدّم من الآي جميعا، شرطا غير مُلتبس.

وغريب ما قرّره الأستاذ السامرائي في ختام تعليقه إذ قال: . . وهذا ممتنع، وقد ورد هذا كلّه في المظانّ النحويّة.

وذلك أنّ الأستاذ ترك أن يدلّنا على مؤرّد هذا الحكم في تلك المظانّ، ولم يذكر شيئا منها على التعيين. بل إنّ التماس حكم هذه المسألة في المظانّ النحويّة يُفْضِي بنا الى خلاف ما قرّر الأستاذ. ومن التزيّد الإفاضة في ذلك بعد الذي تقدّم من شواهد التنزيل؛ فلنَجْتَزِئ بما ساق المبرّد في المقتضب عند كلامه على هذه المسألة، وذلك قوله: « . . . وقد أعلمتك أنّ (الذي) يوصل بالفعل والفاعل، وبالإبتداء والخبر، والظرف، ولا بُدّ في صلة (الذي) من راجع إليه يوضّحه. فإذا قلت: رأيت الذي قام، فاسمه في قام،

(١) سورة آل عمران، الآية ٧٥.

(٢) سورة الحج، الآية ٤١.

(٣) سورة النساء، الآية ٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٥٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٣٥.

(٦) سورة الحج، الآية ٣٥.

(٧) سورة المطففين، الآيتان ٢، ٣.

وكذلك : رأيت الذي في الدار . فإذا كان الاستقرار والقيام لغيره قلت : رأيت الذي في الدار أبوه ، ورأيت الذي قام صاحبه . على ذلك يجري كذلك : رأيت الذي إن يأتني آتِه ؛ لأنَّ المجازاة جملة ، وفيها ما يرجع إليه»^(١) .

مرجيا أن تكون هذه المقابلة من تمام الفائدة بتعاليق الأستاذ ، مرجيا له التحية الخالصة .

د . نهاد الموسى
(الجامعة الأردنية)

(١) المقتضب ٣ / ١٣٠ .